

3- الفصل الثالث : نبذة عن تاريخ وتطور علم النفس النمو

3-1 - تاريخ علم النفس النمو و تطوره:

تأثر علم النفس في مجال بحوثه الحديثة و اتجاهاته العلمية بفكر الفلاسفة و رجال الدين والنظريات النفسية.

*أفلاطون: حاول ان يصور حياة الجنين في تطورها في مرحلة قبل الميلاد.

*جون لوك: قال ان الطفل يولد وعلقه صفحة بيضاء و أوصى بمراعاة ميول الطفل و تجنب إجباره على أي سلوك لا يتفق مع

طبيعته و الصبر على إجابة أسئلته و جعل التعليم قريب من اللعب.

*تشارلز داروين: الذي عرف بنظريته الخاصة في النشوء و الارتقاء في أصل الأنواع و نشر كتابه.

*مندل: أبحاثه كانت حول قوانين الوراثة.

*و في الشرع الإسلامي: تم إتباع كتاب الله حيث يشير إلى نمو الكائن الآدمي من نطفة داخل رحم الأم إلى تطور هذه النطفة و

تصبح علقه ثم تتطور في صورة مضغة ثم تصبح عظاما ثم ينشأ خلقاً آخر أي جنين المكتمل.

ومنذ مطلع القرن العشرين توالى الدراسات الجديدة في علم النفس النمو و المقالات العديدة في مجالات العلمية و التي تحوي

الآلاف من البحوث في علم نفس النمو.

3-2 -نظريات النمو:

النموذج النظري أداة منهجية لشرح وتفسير الظواهر والعلاقات القائمة بينها، ولكل نموذج جهازه المفاهيمي ومبادئ تفسيرية

توضح العلاقة بين الظواهر والمتغيرات ، وتعتبر النظرية مرحلة أخيرة في تحليل المعطيات المتعلقة بمجال معين وهي تقوم بوظيفة اختصار

مختلف المراحل والمعطيات التي مر منها البحث العلمي في تفسير ظاهرة معينة . كما تقوم بإنشاء أنساق تفسيرية أو شبه تفسيرية

بكيفية ملتحمة ونسقية. ويمكن اعتبار نظرية التحليل النفسي سواء مع "فرويد" أو في بعده الاجتماعي مع "إريكسون" وكذا النظرية

التكوينية مع "بياجي" من أهم النظريات التي قاربت النمو وحددت مراحل وأغنت البحث السيكولوجي متجاوزة ظاهرة النمو إلى

الابستمولوجيا والتربية والعلاج النفسي.

3-2-1- نظرية التحليل النفسي " فرويد" :

أكد "فرويد" على وجود طاقة غريزية تولد مع الإنسان أطلق عليها الشبق (الليبدو) وهي قوة حيوية و طاقة نفسية ، تتحرك

وتؤثر في السلوك الإنساني.

ومفتاح فهم السلوك الإنساني عند " فرويد " هو تحديد مركز الليبدو، وهي تتركز في مناطق مختلفة من الجسم عبر مراحل النمو المختلفة.

و أهم هذه المراحل هي:

أ -المرحلة الفموي (الأولى من عمر الطفل):

تغطي هذه المرحلة السنة الأولى من عمر الطفل ، حيث يحدث الإشباع عند الطفل من استشارة الشفا هو اللسان والفم ، وإذ لم يتم الإشباع الفموي خلال هذه المرحلة بشكل مناسب فقد يطور الطفل عادات مثل : مص الأصابع ، أو قضم الأظافر أو ربما التدخين في مراحل لاحقة من عمر الطفل.

ب -المرحلة الثانية (من 2 - 3 سنة):

وتغطي العامين الثاني والثالث من عمر الطفل، حيث يتزايد وعي الطفل باللذة الناجمة عن حركة الأمعاء على الأغشية المخاطية للمنطقة الشرجية، ولإشباع الحاجة الحيوية للتخلص من الفضلات.

□ ويرى "فرويد" أن بعض الخصائص التي يتمتع بها الفرد في مراحل لاحقة من حياته مثل: العناد والبخل تنبع من الخبرات التي يمر بها الطفل في هذه المرحلة.

ج -المرحلة الثالثة (من 3 - 6 سنوات):

وتعبر هذه المرحلة عن عقدتين ، عقدة "أوديب" عند الأطفال الذكور فمن وجهة نظر "فرويد" أن الطفل يتعلق بأمه ويجد أن الأب منافسا قويا له ، ولحل هذه العقدة يتبنى الطفل مبادئ مثل أبيه فيتطور لديه الأنا الأعلى ، أما عند الإناث فيعتقد "فرويد" بوجود عقدة "إلكترا" من خلال تطور مشاعرها نحو الأب ولكنها تخشى العقاب على يد أمها وتبنيها القيم والمثل التي تحترمها فيتطور لدى الإناث الأنا الأعلى.

د -المرحلة الرابع (من 6 - البلوغ):

ويطلق عليها مرحلة الكمون، وتتسم بالهدوء في الطاقة ، ويكرس الطفل وقته و طاقته للتعلم والأنشطة البدنية و الاجتماعية ، ويتحول اهتمام الطفل من الذات إلى الآخرين من خلال تكوين العلاقات والصدقات معهم.

هـ -المرحلة الخامسة (المراهقة) :

ويطلق عليها المرحلة التناسلية ، وتغطي هذه المرحلة فترة المراهقة ، وتصبح مهمة الفرد أن يحرق نفسه من والدية، بالنسبة للذكور فإن ذلك يعني التخلص من تعلقه بأمه ، وأن يجد حياة خاصة به ، أما البنات فتسعى إلى الزواج وأن تنفصل عن الأبوين ، وتقيم أسرتها وحياتها الخاصة .

وإذا كان التطور في النمو ناجحاً في هذه المرحلة و المراحل السابقة ، فإن ذلك يقود إلى الاستقلالية و النضج و إنجاب الأطفال وتربيتهم.

وتناول " فرويد " في نظريته مستويات الشعور، حيث:

- الشعور: هو كل ما يعيه الفرد في لحظة معينه.
- ما قبل الشعور: هي الذكريات المخزونة والتي يمكن استدعاؤها.
- اللاشعور: وهو أعمق المستويات النفسية ، ويتكون من الذكريات التي تؤثر في السلوك ، ولا يمكن استدعاؤها ولكن تظهر في الأحلام و زلات اللسان.

وتناول أيضا " فرويد " في نظريته مكونات الشخصية وقسمها إلى:

- الهو : هو مصدر الطاقة والغرائز ، والحاجات ، وهو لا شعوري ولا منطقي ويوجهه مبدأ اللذة .
- الأنا : جزء منه شعوري والجزء الآخر لا شعوري ، ويعتبر الجهاز الإداري للشخصية (مركز الصراع)
- الأنا الأعلى: ويمثل الضمير ويضم القيم الدينية والأخلاقية ، ويؤثر على السلوك وغالبا ما يحدث صراع بين المكونات الثلاث.

3-2-2- نظرية النمو المعرفي "بياجي".

ركز "بياجي" على النمو المعرفي ، واهتم بدراسة نمو المفاهيم الأساسية عند الطفل مثل مفهوم الزمان ، مفهوم المكان ، مفهوم العدد ، مفهوم المساحة.

□ وينظر "بياجي" إلى التطور المعرفي من زاويتين هما : البنية العقلية و الوظائف العقلية

3-2-2-1- مراحل النمو عند بياجي:

*المرحلة الحسية الحركية (من الميلاد - العام الثاني) و تتميز بما يلي:

- يمارس الطفل أفعال بدائية (ردود أفعال للمثيرات).

- اكتشاف طرق جديدة لحل المشكلات ، وبداية التخيل و الكلام ، والمشى.

***المرحلة قبل الإجرائية (ما قبل العمليات من 2 - 7 سنوات) وتتميز بما يلي:**

- من أهم مظاهر النمو المعرفي في هذه المرحلة هي عدم الثبات (عدم فهم أن الشيء يمكن ان يتغير و يعود لحالته) مثل عمليات

(الطرح)

- تتميز بنمو اللغة والتفكير عند الطفل

***مرحلة العمليات الحسية (الإجراءات المادية من سن 7-11 سنة) وتتميز بما يلي:**

- تصنيف الأشياء المادية المحسوسة (الأكبر - الأصغر - الأطول - الأقصر...الخ) .

- إدراك الزمن (الأمس - اليوم - الشهر...الخ) .

- نمو القدرة على توزيع الانتباه ، وتركيزه

- القدرة على قابلية التفكير العكسي (مثال : الجمع ، الطرح ، القسمة و الضرب)

***مرحلة الإجراءات الصورية (المراهقة) وتتميز بما يلي:**

- نمو القدرة على التفكير المجرد (مثل مفهوم الخير ، العدل ، التعاون...الخ).

- القدرة على حل المشكلات.

- نمو القدرة على التخيل و استخدام الرموز وفهم الكتابات و الأمثلة .

3-2-3- النظرية النفسية الاجتماعية "اريكسون" :

يرى "اريكسون" أن نمو الشخصية يتم في ثمان مراحل من الطفولة إلى الشيخوخة ، وكل مرحلة تمثل نقطة تحول تتضمن

أزمة نفسية اجتماعية يعبر عنها اتجاهان: أحدهما خاصة مرغوبة ، والآخر يتضمن خطرا .

وأكد "اريكسون" على أن الأزمة النفسية الاجتماعية يجب أن تحل قبل أن ينتقل الفرد بنجاح إلى المرحلة التالية.

3-2-3-1- مراحل النمو النفسي الاجتماعي عند اريكسون:

***مرحلة الثقة عدم الثقة (العام الأول):**

إذا حصل الرضيع على إشباع حاجاته الأساسية وشعر أن العالم آمن من حوله ، تترى فيه الثقة في نفسه وفي الوالدين ، وإذا

فشل في ذلك وكانت الرعاية و إشباع الحاجات الأساسية غير كافية ، ينمو لديه الخوف وعدم الثقة.

*مرحلة التحكم الذاتي مقابل الشك (2 - 3 سنوات):

التحكم في عمليات المشي ، والإخراج و الكلام ، يؤدي إلى الشعور بالإرادة ، أما الفشل في ذلك مع نقص المساندة ، يؤدي إلى شعور الطفل بالخجل و الشك في الذات و الشك في الآخرين.

*مرحلة المبادرة في مقابل الذنب(4-5 سنوات):

إذا أتاحت الفرصة للطفل للعب بحرية ، وأجيب عن أسئلته ، فإن ذلك يؤدي إلى المبادرة ، أما إعاقه نشاطه وعدم الإجابة عن أسئلته ، واعتبارها مصدر ضيق يؤدي إلى الشعور بالذنب.

*مرحلة الاجتهاد مقابل القصور(6-11 سنة):

ينمو لدى الطفل الشعور بالاجتهاد والمثابرة في المدرسة ، وعن طريق التشجيع يتعلم المثابرة والاجتهاد ، أما إذا تلقى تعزيزا سلبا فقد يشعر بعجزه عن أداء الأعمال المطلوبة منه ، وينمو لديه شعور بالقصور يمنعه من المحاولة.

*مرحلة الذاتية مقابل تشوش الدور(12-18 سنة):

يكون المراهق في مرحلة تساؤل تصاحب الطفرة الجسمية ، ومن خلال تحديد الهوية والاهتمامات يحقق المراهق ذاته ، أما اذا شعر بعدم تحقيق ذاته ، فإنه يشعر بتشوش الدور ، ولكي يعوض ذلك التشوش في الدور فقد يلجأ المراهق إلى التعلق ببطل أو شخص مثالي لكي يحقق ذاته.

6- مرحلة التواد مقابل الانعزال (سن الرشد المبكر):

يحاول الراشد أن يربط ذاته بشخص آخر ، والتزواج من الجنس الآخر ، وتنمو العلاقة الحميمة معه ، أما إذا تجنب العلاقة الحميمة يسبب الخوف من تهديداتها لذاته ينتج عن ذلك الانعزال و الاستغراق في الذات.

7- مرحلة التولد مقابل الركود (الرشد الأوسط):

وتظهر في هذه المرحلة المشاعر الوالدية ، ويبدأ في الاهتمام بالرعاية و إرشاد الأجيال التالية ، ويهتم بالعمل والإنتاج والابتكار .. والشخص الذي لا يملك تلك الاهتمامات يصبح راكدا مهتما بذاته فقط .

8- مرحلة التكامل مقابل اليأس...:

وتمثل مرحلة الشيخوخة ، إذا تقبل المسن حياته وعجزه و مرضه ، وخروجه إلى التقاعد ، وفقد الزوج أو الزوجة ، يؤدي

ذلك إلى التكامل و التماسك ، والحكمة ، أما عدم تماسك الأنا والشعور بأن الوقت فات ولا يمكن تعويض الفرص التي فاتت ، فإن ذلك يؤدي إلى اليأس و الخوف في آخر مراحل العمر.

3-2-4- نظرية النضج "ارنولد جيزل":

1 - تعتبر هذه النظرية إحدى النظريات الهامة في تفسير النمو حيث لعبت دورا هاما في الدراسات النفسية الخاصة.

2- يرى "جيزل" أن التشابكات النمائية لها أصول بيولوجية و من وجهة نظر الناس أنهم متشابهون تماما و ذلك لأنهم متأثرون بعوامل داخلية واحدة و لم ينكر جيزل اكتساب الطفل معلومات عن طريق الخبرة مباشرة.

3 - ويؤكد كل من "جيزل" و "بياجيه" و كذلك علماء التحليل النفسي على مراحل النمو و لهذا يسمون بأصحاب "نظريات المراحل".

3-2-5- نظرية "روبرت هافجهرست":

قدم " هافجهرست " نظريته من خلال تقديمه لمفهوم "مطلب النمو" ، حيث يعتبر النمو بأنه سلسلة من الواجبات يجب أن تتحقق في إطار زمني محدد لتحقيق التقدم النهائي على نحو صحيح للفرد، ويقصد بمطلب النمو ذلك المطلب الذي يظهر في فترة ما من حياة الفرد، والذي إذا ما تحقق إشباعه بنجاح أدى إلى شعور الفرد بالسعادة ما يعني تحقيق مطالب النمو المستقبلية، بينما يؤدي الفشل في إشباعه إلى عدم الرضا و الشقاء و الرفض من المجتمع وعدم التوافق مع مطالب المراحل التالية من الحياة. كما ترى هذه النظرية إلى أن النمو هو نتاج تفاعل بين النواحي البيولوجية و النمط الثقافي للمجتمع الذي يوجد فيه الفرد ومستويات طموحه، وعلى ذلك فإن بعض المطالب تظهر كنتيجة للنمو العضوي، مثل المشي في سن معينة من حياة الطفل وبعضها يظهر عن آثار و الضغوط الثقافية للمجتمع مثل تعلم القراءة و الكتابة وبعضها ينتج من القيم التي يعيش بها الفرد ومن مستوى الطموح الذي يهدف إليه.